القُطوف الدّانيّة الجَنيّة من الشمائل المحمّديّة والأخلاق المصطفويّة والصّفات العليّة لخير البريّة صلى الله عليه وآله وسلَّم بكرة وعشيّة

2022-11-11

الحمد لله الذي أكرم حبيبه ومصطفاه. صلى الله عليه وآله وسلم بمقامات اليقين في سريرته. وبمكارم الأخلاق في سيرته. وبمظاهر النظافة والنقاء في صورته. وأوجب علينا الإقتداء به واتبّاع سنّته، حتى نُقدِّم الحجّة والبرهان على نُصرته ومحبّته، نحمده تعالى ونشكره أن أكرمنا بسيرة مَن خَتمت رسالتُه كلَّ الرسائل. وجعل الإقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم منبع المكارم والفضائل. ووقاية من المفاسد والرذائل. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. جعل معرفة خَلْق وخُلُق سيّد الوجود. سيّدنا ومولانا محمد المحمود. صلى الله عليه وآله وسلم. من أعظم القرابات والوسائل التي يستجاب بها رضى المولى المَلِك المعبود. وذِكر محاسنه الجميلة تُعطِّر المجامع. وتُشنِّف المسامع. وتُهيِّم العقول في بحر جماله العَذْب المناهل والورود. والإشتغال بخدمته يُعلِّي المراتب. ويرفع المناصب. ويُوصِّل إلى نَيْل الأمل وبلوغ المقصود. وأشهد أنّ سيّدنا محمدا عبد الله ورسوله. وصفيّه مِن خَلْقه وحبيبه وخليله. كريم الخصال وشريف السجايا، المجبول على معالي الأخلاق والمعصوم من الدنايا، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهَد في الله حقَّ جهاده، جيَّش في سبيل ذلك الجيوشَ وبعَث البعوثَ والسرايا،

يا سامعِي أخبارِه ومفاخِرِهْ * ومطالِعِي آثارِه ومآثرِهْ
ومؤمِّلِي وافِي الثوابِ ووافرِهْ * إنْ شئتُمُ فوزاً بذاك عظيمًا
صلّوا عليه وسلِّموا تسليمًا

اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدِنا محمد. عُنْصُرِ شجرة النبوءة التي عذُبَت في المسامع أحاديثها وأذكارها. وعلى آله الحائزين شرف السيادة وعظيم مِقْدارها. وعلى أصحابِه الذين كسّروا جيوش الكُفْر، وهجروا في محبّة داعيهم إلى الله الأَوطار والأوطان، ولم يرجعوا إليها بَعْدَ فراقها وَوَدَاعِها، وحَفَظُوا على أتباعهم أقوالَه وأفعالَه وأحوالَه حتى أَمِنَتْ بهم

السُّنَنُ الشريفة من ضياعها. صلاة وسلاما دائمَيْن متلازمَيْن ما دامت السماءُ في سُمُوِّها، والأرضُ في اتّساعها، ويكونان لنا سببا لدخول الجنّة والتمتّع برياضها وأعذب أنهارها. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. حديث اليوم، حديث كل مناسبة، حديث تستلذّه الأسماع، وتهفو إليه الأفئدة، وشعور تجثو عنده العواطف، حديث في سيرة تتقاصر دونها السِّيَر، وصفات لا تدانيها الأوصاف، إنه لمحات ونفحات، تعبق من صفات الرسول المجتبى، وشمائل الحبيب المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلَّم، شذرات تزيد الحب حباً، والقلب قرباً، تجدِّد الإيمان. وتعضد الولاء، وتثمر الإتّباع، صفاته وشمائله وكراماته وفضائله أُفُق واسع، وسماء رحبة، وحديقة غنّاء، يُحار الناظر ماذا يقطف؟ وأيّ شيء يتخيّر؟. فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وإنّ أحدًا من الناس مَهمَا علا فضلُه، واتّسع عِلمُه وكَمُلَ عَقلُه، لا يستطيع أن يُحيط بمحاسن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، ولا أن يستقصي أنواع كماله وألوان جَماله صلى الله عليه وآله وسلَّم، بل كلهم عاجز عن التعبير عن تلك المعاني المُحمديَّة، والصفات المصطفوية، فالله تولّى إقراءه فقال سبحانه في سورة العلق:((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ))، وحفظ له ما أقرأه فقال في سورة الأعلى:((سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى))، وتولّى تعليمَه فقال في سورة القيامة:((لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ))، قال الله عز وجل في سورة النساء:((وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)). وإنّنا حين نتحدّث عن الحبيب المصطفى. رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلَّم. فإنّنا نتطلّب زيادة الإيمان، ومزيد التعظيم والتبجيل، وقدره حق قدره، وازدياد محبّته، وكل ذلك مطلوب شرعاً، والثمرة في ذلك طاعته واتّباعه، وتعظيم أمْره ونهيِه، واقتفاء سنّته، والثبات على شِرعته. فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. وإنّ المقام المذكور في قوله تبارك وتعالى كما في سورة الكهف:((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ))، لَيدلُّ على موضع الإعتبار في شأن هذا الرسول المختار، صلى الله عليه وآله وسلَّم. الذي هيَّأه ربُّه

وأهَّلَه وأعدَّه، وأمدَّه في روحه وجسمه وعقله وفَهمه وبصره، وسائر مَدارِكه وجوارحه وجوانحه، ووهَبَه التمكينَ لتلقِّي الوحي عن رب العالمين، والله تبارك وتعالى أمَر العباد باتّباع نبيّه صلى الله عليه وآله وسلَّم، وجعل اتّباعَه آيةَ محبّتهم لله ورسوله. فقال عز وجل في سورة آل عمران:((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ))؛ وذلك باتّباع أقواله وأفعاله وأحواله، والتّعرُّف على سجاياه الكريمة، وأخلاقه العظيمة؛ ليُتأسَّى به ويُتَّبع، ولا يُخالَف عن أمره ولا يُبتدَع، وحُقَّ حُبُّ النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون فوق محبة النفس والآباء والأبناء والأزواج والعشيرة، والتجارة والأموال، ولا ريب أنّ أسباب المحبة ترجع إلى أنواع الجَمال والكمال والنوال، التي اجتمعت في مجمع صفات الكمال ومحاسن الخصال صلى الله عليه وآله وسلَّم، مَنْ أبدَع اللهُ تعالى صورته العظيمة، وهيأته الكريمة، وطوى فيه أنواع الحُسن والبهاء، والطُّهر والنقاء صلى الله عليه وآله وسلَّم. وكلَّما زادت المعرفة بمحاسن المحبوب زادت المحبة له، وبذِكر شمائله صلى الله عليه وآله وسلَّم. وسماع أوصافه ونعوته صلى الله عليه وآله وسلَّم تحيا قلوب المحبين، وتطرب أرواحهم وعقولهم، ويزداد حبهم. ويتحرّك اشتياقهم، وإنّ الله تبارك وتعالى خلق نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلَّم في أجمل صورة بشريَّة، وأكمل خِلقة آدمية، وأجمعت كلمة واصفيه أنَّه لم يُرَ له مثيلٌ سابقٌ، ولا نظيرٌ لاحِقٌ؛ فقد كان أحسنَ الناسِ خَلقًا وخُلُقًا، فلم يُر شيءٌ قطُّ قَبلَه ولا بعدَه أحسنَ منه ولا مثلَه صلى الله عليه وآله وسلَّم، فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذه وقفاتٌ ومقتطفات مع جانب من أهمّ جوانب السنّة العطرة. والسيرة المباركة، ذلكم هو جانب الشمائل النبوية. والسجايا المحمدية. والآداب المصطفوية، فهي مَعِينٌ ثرٌّ، وينبوع صافٍ متدفِّق، يرتوي مِن تميّزه كلُّ من أراد السلامة والنجاة من أكدار الأمراض العصرية، بل هي المنظومة المتألِّقة. والكوكبة المتلألئة. والشمس الساطعة. والسَّنا المشرِق. والمِشعل الوضّاء. الذي يُبدِّد رُكام الظُّلْم والظُّلَم، ولئن فات كثيرين رؤيتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم

بأبصارهم، فإنّ في تأمُّلِ شمائله لعزاءً وسُلوانا، فالمطبقون لشمائله إن لم يصحَبوا نفسَه أنفاسَه صحِبوا.

إن فاتكم أن ترَوْه بالعيون فمـا * يفـوتكم وصفُه هاذي شمائلُـهْ

مكمَّل الذات في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ * وفي صفاتٍ فلا تُحصى فضائلُهْ

فهو سيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، شَرُفَ نسبُه، وكَرُمَ أصلُه. وفضلُ بلدِه ومنشئِه، لا يحتاج إلى دليل عليه، فإنه نخبةُ بني هاشم، وسلالةُ قريشٍ وصميمِها، وأشرف العرب وأعزّهم نفراً من جهة أبيه وأمّه. صلى الله عليه وآله وسلَّم؛ أمّا بلده مكة المكرّمة، فأكرَم بلاد الله عز وجل على الله وعلى عباده، فسيّدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم بن عبد الله، رسول الله وخليله، فاضت بمحبته القلوب، وامتلأت بإجلاله الصدور، وأسبغ الله عليه من الحُسن والجمال في مَنظره ومَخبره، وخَلْقه وخُلُقه. ما جعله آية في الكمال والجمال، وإذا أحببنا أن نتعرّف على صفاته الخَلْقية والخُلُقية، فتعالَوْا بنا نستمِع إلى ما تحدّثت عنه كُتُب الشمائل والسِّيَر والأحاديث الصحيحة عن تلك الصفات. فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. فقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم عظيم الشأن والقدر، فخماً مُفخَّماً. مَن رآه بديهة هابَه، ومَن خالطه معرفة أحبَّه، وكان رجلاً مربوعاً. ليس بالطويل ولا بالقصير، بل كان وسطاً بين ذلك، وكان معتدِل الخَلْق، حَسن الجسم، متماسِك البدن، وكان أزهر اللَّون. ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الأسمر، وكان جسيم الرأس، عظيم الهامَة، شديد سواد الشعر، ولم يكن شعره بالجعد ولا بالسَّبِط، وكان شعره يصل إلى أنصاف أذنَيْه حيناً، ويرسله أحياناً فيصل إلى شَحمَة أُذُنَيْه، أو بين أذنيه وعاتقه، ولحيته كثيفة سوداء، تُوَفِّيَ صلى الله عليه وآله وسلَّم وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء. وكان رَحب الراحة. غليظ الكفَّين والقدمَين، وكان منكباه واسعَين، وأنه أشعر الذراعين والمنكبَين وأعالي الصدر والبطن، طويل المسربة. موصول ما بين اللَّبَّة والسُّرّة بشعر يجري كالخيط. وكان أبيض الإبطَين، بين كتفَيه خاتم النبوّة. وكان صلى الله عليه وآله وسلَّم واسع العينَين. شديد سوادهما. أكحل. مقرون الحاجبَين. واسع الجبهة، إذا ضحك

أو غضب يظهر له عِرْق في جبينه، وكان أنفه مستقيماً، طويلاً في وسطه بعض ارتفاع، مع دِقّة أرنبته. وكان صلى الله عليه وآله وسلَّم مشرق الوجه غير عابس ولا مُكشِّر مثل الشمس والقمر مستديراً. طويل العنق أبيضها كأنها الفضة. قال عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم ناعته وواصفه: (ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من النبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم، كأنَّ الشمسَ تجري في وَجْهِهِ). ويقولُ: (ما رأيتُ قبلَهُ ولا بعدَهُ مِثْلَهُ). ولله در حسّان بن ثابت رضي الله عنه حين قال:

وَأَحسَنُ مِنكَ لَم تَرَ قَطُّ عَيني * وَأَجمَلُ مِنكَ لَم تَلِدِ النِساءُ

خُلِقتَ مُبَرَّءاً مِن كُلِّ عَيبٍ * كَأَنَّكَ قَد خُلِقتَ كَما تَشاءُ

فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذه بعض أوصاف نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في جمال الخَلق وحُسن الصورة وكمال الهيئة. أمّا كمال النفس. واستقامة السيرة. ومكارم الأخلاق. فقد كان في أعلاها. وله من الذرى أسناها، كان صلى الله عليه وآله وسلَّم دائم البِشْر، سَهْل الطبع، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخّاب في الأسواق، ولا يدفع السيّئة بالسيّئة، ولكن يعفو ويصفح.

زانتْه في الخُلُق العظيم شمائلٌ * يُغرى بهنّ ويولَع الكرماء

وأعظم من ذلك وأبلغ ثناءُ ربه عليه بقوله:((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم))، ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ))، يقول سيّدنا أنس رضي الله عنه:((ما مسستُ ديباجاً ولا حريراً ألينَ من كف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، ولا شممتُ رائحة قط أحسنَ من رائحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم، ولقد خدمتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلتَ كذا)). تلك واللهِ عراقةُ الخلال وسموّ الخصال، وكريم الشمائل وعظيم الفضائل، فسبحان من رفع قدره، وشرح صدره، وأعلى في العالمين ذِكره. صلى الله عليه وآله وسلَّم،

وشَقَّ له من اسمه ليجلَّه * فذو العرش محمود وهذا محمدُ

فيا أحباب رسول الله. صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذه بعض القطوف من شمائل النبي الرءوف، صلى الله عليه وآله وسلَّم. بحر من الحب لا ساحل له، وفضاء من الخير لا منتهى له، شمائل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلَّم. هذه لا تحدّها الكلمات، ولا تُوفيها العبارات، وحسبنا من ذلك الإشارات، وإنّ على أمّة الإسلام اليوم أن تتربّى على سيرته، وأن تتخلّق بخُلُقه، وتتّبع هديه. وتستنّ بسنّته، وتقفو أثره، فما عرفت الدنيا ولن تعرف مثله، وإنّ لدينا نحن المسلمون من ميراثه ما نفاخر به الأُمم، ونسابق به الحضارات، فهذا النبع فأين الواردون؟ وهذا المنهل فأين النائلون؟ ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)). ولم تكن حاجةُ الأمّة في عصرٍ ما إلى الإقتباس من مشكاة النبوّة. والسنّة المباركة. ومعرفة السيرة العطرة.

معرفة إهتداء واقتداء. أشدَّ إليها من هذا العصر. الذي تقاذفت فيه الأمّةَ أمواجُ المحن، وتشابكت فيه حلقات الفتن، وغلب فيه الأهواء، واستحكمت الزعوم والآراء، وواجهت فيه الأمّة ألواناً من التصدّي السافر. والتحدّي الماكر. والتآمر الجائر. من قِبَل أعداء الإسلام. الذين رمَوْه عن قوس واحدة، والذي تولّى كِبره منهم ((مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ))، من اليهود المعتدين. والصهاينة الغاشمين، ويوالي مسيرتهم دعاةُ التثليث وعبدة الصليب، ويشدّ أزرهم المفتونون بهم. المتأثّرون بعفن أفكارهم. وسموم ثقافاتهم، من أهل العلمنة ودعاة التغريب. فاتقوا الله عباد الله، وروّوا قلوبكم وأرواحكم من شمائل نبيّكم، وتأمَّلوا خصاله العظيمة. وشمائله الكريمة، واربطوا أنفسكم وناشئتكم وأُسَرَكم بها رباطاً محكماً وثيقاً. اللهم اشرح صدورنا بمحبة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلَّم، اللهم ارزقنا طاعتك وطاعة رسولك صلى الله عليه وآله وسلَّم وإتّباع سنّته. اللّهمّ إنّا نسألك حبَّك، وحبَّ رسولك، وحبَّ العملِ الذي يقرّبنا إلى حبّك. اللهم اجعل حبَّك وحبَّ رسولك أحبَّ إلينا من أنفسنا وأهلينا ووالدينا وأولادنا والناس أجمعين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ